

الاستحضار التاريخي في روميات أبي فراس الحمداني

د. يسرى إسماعيل إبراهيم*

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تناول ظاهرة اتكأ عليها الشاعر أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني في روميته وهي الاستحضار التاريخي، إذ وظف الشاعر فيها أحداثاً، وشخصيات تاريخية إضفاء لمشروعية رؤيته. وقد تناول البحث الجوانب الآتية:

1. الشاعر والتاريخ.
2. الشاعر بين الاتباع والابتداع.
3. أبو فراس مجتمعاً وذاتاً.
4. دلالات الاستحضار التاريخي في الروميات، وهو الجانب التطبيقي في البحث إذ تناولنا فيه أهم دلالات الاستحضار التي تمثلت بالجوانب الآتية:
 - أ. اتخاذ القرار.
 - ب. نفاذ القضاء.
 - ج. الموقف من الآخر.
 - د. مواساة أمه.

(* قسم اللغة العربية - كلية الآداب / جامعة الموصل

وقد خلص البحث إلى أن الشاعر يتناول في استحضاره الأحداث والشخصيات التاريخية تنازلياً حيناً وتصاعدياً حيناً آخر لغاية مضمونية وفنية كما انه يتبنى رواية تاريخية حول حدث ما متناسياً الروايات الأخرى استجابة لطبيعة الموقف الذي يمر به فضلاً عن انه لم يتناول حادثة أو شخصية خارج إطار الكون العربي وكأنه بهذا الفعل يلغي دور الأمم الأخرى ووجودها.

1. الشاعر والتاريخ

إذا كان التاريخ يعني "قصة ماضي الإنسان أو هو عرض منظم مكتوب للأحداث برصفها خطوات التقدم البشري"⁽¹⁾ فهذا لا ينفي عدم تأثير الأجيال اللاحقة بأحداث التاريخ ووقائعه كونها تشكل جزءاً مهماً من ذاكرتهم التي تساهم في فهمهم للحاضر ووعيه والتنبؤ بالمستقبل. فالتاريخ "ممتد في الحاضر منبسط في الوجدان يشهد على الكفاح المستمر والمعاناة المتواصلة"⁽²⁾ وهذا ما يفسر لنا حضور الأحداث التاريخية بوجهيها الإيجابي والسلبي في النصوص الشعرية. فلقد انفعل الشعراء بأحداث التاريخ وشكلوا حلقة وصل بين الماضي والحاضر وبينهم وبين أسلافهم عبر تشكيلات فنية جسدت رؤيتهم تجاه حاضرهم ومستقبلهم⁽³⁾. فالإمام بأحداث التاريخ والتأمل فيها يشكل رافداً مهماً يغذي الموهبة الشعرية لذا عدت الثقافة العربية منذ القدم للإمام بالموروث ومن ضمنه التاريخ مكوناً أساسياً

(1) الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1965: 480.

(2) نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفسلفي: د. محمد عابد الجابري، دار الطليعة، بيروت، 1982:

9-8.

(3) الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، د. حسني عبدالجليل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988: 74.

من مكونات الشعاعرية فلا يكون الشاعر فحلا ان فاته التزود من ذلك المنبع الثر⁽⁴⁾ على إلا يكون الاستحضار فعلا اجتراريا جامدا ونقلا وثائقيا خالصا بل يجب ان يكون "نقلا حيا لإبداع يمكن تنشيطه دائما بالعودة إلى اكثر اللحظات ابتكارا في التأليف الشعري"⁽⁵⁾.

فالشاعر المبدع هو الذي "يختار من أحداث التاريخ وشخصياته ما يشاء ويسبغ عليها صفة إنسانية عامة تصلح لأي كان في كل زمان ومكان والاكتفاء من التاريخ بالخطوط العريضة والقيم الإنسانية الثابتة"⁽⁶⁾ وعبر هذا الفعل يتحول العمل إلى نتاج إبداعي بعيدا عن التقريرية والروح التعليمية.

2. الشعاعيين الاتباع والابتداع

لما كان الإنسان بصورة عامة والشاعر بشكل خاص لا يستطيع تجاوز موروثه الثقافي المتمثل باللغة التي "تفرض عليه – شاء أم أبى- مكتسباتها والمحتوى الثقافي لذاكرتها"⁽⁷⁾ فمن الطبيعي ان تتأثر الأجيال اللاحقة من الشعراء بسابقيهم يصاحب هذا التأثير تجاوز ومفارقة لسنن القديم يتمظهر من خلال

(4) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تح، محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1934: 1/132.

(5) الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، تحرير، ديفد وورد، ترجمة وتقديم، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: ط1، 1999: 45.

(6) مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، عمر الطالب، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط1، 1988: 9.

(7) سوسولوجيا الغزل العربي، الغزل العذري نموذجاً، الطاهر لبيب، ترجمة مصطفى المسناوي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1988: 11.

تشكيلات شعرية لها خاصيتها المتميزة، هذا التمايز الذي يحدث استجابة لدواع نفسية و فنية هو الذي يمنح النص اللاحق بعداً إبداعياً ويكسبه هويته المتميزة. ان تجاوز الموروث تولده عوامل خارجية وداخلية تفعل فعلها في الذات المبدعة وتجعلها في نقطة مفارقة مع التراث.

إذ تتمثل العوامل الخارجية بطبيعة العصر الذي عاشه الشاعر لأن النتاج الشعري "يبدع ضمن سياق تاريخي واجتماعي"⁽⁸⁾، فالحياة الاجتماعية في مرحلة معينة تساهم في تشكيل رؤية لذات المبدعة، لان العمل الأدبي لا يصدر "من فراغ فكري أو اجتماعي إذ لا بد لهذا المبدع من موقف اجتماعي من قضية فنية"⁽⁹⁾. أما الداخلية فتتمثل بخصوصية الذات الفردية وتكويناتها النفسية والجسدية وما مرت به من تجارب في حياتها. وكلما كان الشاعر قادراً على التعبير عن روح عصره وعن كوامن ذاته كان نتاجه الشعري أكثر ثراء وعمقاً بحيث يستدعي قراءات متأنية من اجل الكشف عن جوانبه الإبداعية.

3. أبو فراس مجتمعاً وذاتاً

ان طبيعة الحياة الاجتماعية بجوانبها كافة: السياسية والاقتصادية والعفائية تساهم في تنميط الشخصية الفردية، فالإنسان ليس إلا خيط من ثقافة عصره، ولأجل الكشف عن المكونات التي شكلت رؤية أبي فراس للتاريخ لا بد من إعطاء

(8) استراتيجيات القراءة، التأصيل والإجراء النقدي، د. بسام قطوس، دار الكندي، مؤسسة حمادة، اربد، عمان، 1988: 3.

(9) حول دراسة النص الأدبي، د. إسماعيل احمد العالم، مجلة جامعة دمشق في العلوم الإنسانية مج (11)، ع (43) س 1995: 194.

حديث موجز عن طبيعة العصر الذي عاشه وعن حياته الخاصة فقد " تشكل موقف أبي فراس الوجودي من عدة معطيات بدأت تفعل فعلها في كيانه منذ ان أعطى فرصة الوجود عام 320هـ، ثم أخذت تتداخل وتتشابك وتتراكب على امتداد عمره القصير"⁽¹⁰⁾ ففي عصره لم يعد الأصل العربي "امتيازاً أصيلاً لا لأن السلطة السياسية والروحية كانت متقاسمة مع غير العرب فحسب، بل على وجه الخصوص لان هؤلاء كانوا يقاسمون العرب لغتهم أيضاً"⁽¹¹⁾ إذ سيطر الأتراك على السلطة في بغداد وبدأت أطراف الحضارة الإسلامية البعيدة تنفصل عنها شيئاً فشيئاً حتى لم يبق للخليفة الاسمي سوى بغداد وبعض أعمالها القريبة والأمر فيها لابن رائق⁽¹²⁾، ولم يكن الحمدانيون بمعزل عن الوضع السياسي السائد آنذاك فقد تحملوا "في سبيل الوصول إلى تحقيق آمالهم كثيراً من العناء والصبر والتضحيات في مساندة السياسة المتقلبة للخلافة ولو أدى الأمر إلى معاداة بعضهم البعض الآخر إذ ربما كان حمداني في جانب وحمداني آخر في جانب معاد"⁽¹³⁾، ان دخول الحمدانيين في حلبة المعترك السياسي يعني ضمناً دخول أبي فراس فيها، ولا سيما هو الفتى الذي كان يتشوق لإعادة مجد العروبة الزاهر ويعي وعيا تاماً خطورة تكالب القوى الأجنبية على الحضارة الإسلامية من الخارج والداخل، اما حياته الخاصة فلقد ذاق الشاعر مرارة اليتيم وعمره ثلاث سنوات إذ قتل أبوه على يد

(10) أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي، د. النعمان القاضي، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي مصر، 1981: 3.

(11) سوسيلوجيا الغزل العربي، الغزل العذري نموذجاً: 137.

(12) الكامل في التاريخ، عز الدين بن الاثير، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، 1966، 6/ 254.

(13) أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي: 5.

ناصر الدولة الحمداني⁽¹⁴⁾. فكفل تربيته ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة الحمداني فعاش أبو فراس صورة من صور تناقضات عصره إذ يكفله شقيق قاتل أبيه ولكن الشاعر استطاع ان يتجاوز كل التناقضات وهب يدافع عن الثغور العربية المتاخمة لحدود الروم على الصعيدين القولي والفعلية إلى ان وقع في الأسر بعد ان أثخنه الجراح⁽¹⁵⁾، وظل أسيرا لديهم أربع سنوات حتى فداه سيف الدولة سنة 355هـ⁽¹⁶⁾.

لقد منحت المدة التي قضاها الشاعر في الأسر مدة لا ينضب غدى شاعريته إذ هيأت له فرصة الانكفاء على ذاته والتأمل في مسيرة أيامه والحياة عامة بعد ان عطل عن ممارسة نشاطه الفعلي فتكونت لديه رؤية خاصة عن الناس والحياة عضدها استحضاره لأحداث التاريخ وشخصياته خلال قصائده التي عرفت بالروميات التي تعد أروع ما نظم لدى قدامى النقاد إذ وصفها التتوخي بقوله: " وله في وصفه اسره، وعلل لحقته هناك، ومراث في الأسر وتعطف لسيف الدولة وما لحقه منه شعر كثير حسنه اكثر"⁽¹⁷⁾. كما حظيت بعناية خاصة من قبل النقاد المحدثين إذ كادوا ان يجمعوا " على انه لولا هذه الروميات لما كان لأبي

(14) هو الحسن بن عبدالله بن حمدان لقبه الخليفة المتقي لله بن ناصر الدولة، تولى إدارة الموصل بعد وفاة أبيه وعندما حاول الخليفة المكتفي عزله وتنصيب عمه سعيد بن حمدان ابى ودبر مكيدة قتل بها عمه. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين بن حنان تح، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1969: 2، 114.

(15) بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. ابو منصور الثعالبي، خلكان حقه وضبطه وفصله وشرحه، محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط2 - 1965: 30 / 1.

(16) نشواز المحاضرة وأخبار المذاكرة، أبو علي المحسن بن علي التتوخي، تح. عبود الشالجي المحامي، حمدون. 1971: 1 / 228.

(17) م. ن: 1: 30.

فراس ميزة على سواه من الشعراء، وأيضا فلولا أسره وشقاؤه لما جرى طبعه بهذه القصائد الرائعة⁽¹⁸⁾، وروعة هذه القصائد ناتجة عن كونها صدرت عن انفعال صادق فضلا عما ما تمتاز به من أبعاد جمالية رائعة.

5. دلالات الاستحضار التاريخي في الروميات:

ان المستقرئ للاستحضار التاريخي في الروميات يجد انه يحمل دلالات متنوعة عززت موقف الشاعر ورؤيته تجاه الظواهر التي تحدث عنها والتي يمكن حصرها في أربعة جوانب هي:

اتخاذ القرار، نفاذ القضاء، الموقف من الآخر، مواساة أمه.

أ. اتخاذ القرار

ان الشخصية الإنسانية بكل أبعادها ما هي نتاج الثقافة السائدة في عصرها، وتبرز أصالة الشخصية من خلال التزامها بالمعايير الاجتماعية التي أقرتها المؤسسة الثقافية بحيث يأخذ هذا الالتزام شكلا سلوكيا. ويظهر بأعلى صورة عندما تكون المؤسسة الثقافية مهددة من قبل قوى تحاول طمس معالمها.

ولعل اتخاذ القرار المتوافق مع المعايير الاجتماعية ابرز مظهر سلوكي يصدر عن الذات الفردية. فهو وان كان في ظاهره فعلا فرديا صادرا عن ذات بعينها فان هناك مكونات ثقافية حملت صاحبه على اتخاذه.

(18) أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي: 1:3.

ولقد كان أبو فراس أنموذجاً للإنسان الملتزم بالقيم التي ربي عليها إذ نقلها من واقعها النظري إلى الواقع العملي عندنا قرر مجابهة جيش رومي كبير وليس معه سوى قلة من أصحابه، لقد جسد الشاعر بقراره هذا عملياً القيم العربية التي تفضل الموت على الركون إلى الفرار لذا فقد صمد لأعدائه وظل يقاتل حتى وقع في أسرهم بعد أن علته الجراح، وقد سجل هذا الموقف بعد أيام من أسره في رائيته التي جاءت مفعمة بسخونة الحدث والانفعال به⁽¹⁹⁾، كشف فيها عن تفضيلة الأسر على الفرار خوفاً من ارتكاب منقصة تحفظها ذاكرة الأجيال اللاحقة مستعينا بأحداث التاريخ من أجل إضفاء المشروعية على موقفه بقوله⁽²⁰⁾:

يقولون لي بعت السلامة بالردى فقلت اما والله ما نالني خسر
 وهل يتجافى عني الموت ساعة إذا ما تجافى عني الأسر والضر
 هو الموت فاختر ما علا لك ذكره فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر
 ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوءته عَمُرُ⁽²¹⁾

والملاحظ أن الشاعر لم يقدم رؤيته بشكل تقريرى جاف وإنما صاغها عبر تشكيل جمالي من خلال خلقه ذواتاً وهمية لائمة (يقولون) لإيثاره الأسر

(19) الموازنة بين الشعراء، أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان. د. زكي مبارك، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1936: 237.

(20) ديوان أبي فراس الحمداني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ن: 13-14.

(21) يذكر المسعودي أن عمرو بن العاص التقى في واقعة صفين وجهاً لوجه مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما). فكشف عن عورته اتقاء للخطر. فما كان من علي (رضي الله عنه) إلا أن اشاح بوجهه وتركه. ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر. أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي. تح. يوسف اسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، ط4، 1984: 2: 387.

على الفرار فاللائمون في النص غير حقيقيين لان من أساليب الشعراء الفنية خلق نوات ذات وجود افتراضي ومحاورتها لتجسيد مشاعرهم⁽²²⁾. ان الفرار - وفق منظور الشاعر- فعل لا مجد والسبيل الوحيد لخلود الذكر الحسن يتم من خلال الفعل البطولي المجيد التي ستتغنى به الأجيال على مدى التاريخ فلا خير في دفع المنية بأسلوب دنيء يتجافى مع روح الأخلاق النبيلة كما فعل عمرو ابن العاص عندما كشف عن عورته اتقاء علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما). فالشاعر لا يرتضي ما اقدم عليه عمرو (رضي الله عنه) لأنه لم ينج من الموت إلى الأبد وإنما آخر منيته لحين كما توحى بذل لفظة (يوم) بينما ظل موقفه المشين عالقا بذاكرة الأجيال.

وفي نص آخر يؤكد الشاعر موقفه السابق إذ بين فيه انه عزف عن الفرار واختار الأسر خوفا من العار على الرغم من وعيه التام انه يخوض معركة خاسرة مستحضرا تنصر جبلة بن الايهم بعد إسلامه الذي رأى في القصاص منه منقصة تلصق به⁽²³⁾، وان كان الشاعر لا يوافق في موقفه هذا كما نجد ذلك في قوله⁽²⁴⁾:

تجشمت خوف العار اعظم خطة واملت نضراً كان غير قريب
وللعار خلى رب غسان ملكه وفارق دين الله غير مصيب

(22) أفنعة النص، سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991: 52.

(23) جبلة بن الايهم هو أحد ملوك الغساسنة، اسلم مختاراً ووفد إلى المدينة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). ثم ارتد عن الإسلام بعد ان لطم فزاريا لان الخليفة أراد القصاص منه. ينظر: تفاصيل

الخبر: مروج الذهب ومعادن الجوهر: 2: 85.

(24) الديوان: 106.

ان ذكر موقف (جبلّة) لا يعني إعجاب الشاعر به كما أسلفنا فهو (غير مصيب) إلا ان استحضاره جاء تأكيداً على ان الرجال العظام قد يرتكبون الأخطاء المهلكة خوفاً من لحاق العار بهم. وان كانوا وفق منظورنا مجانين للصواب. فهناك تماثل بين موقف الشاعر وموقف جبلّة إذ أن كلاهما قد عرض نفسه للخطر وان اختلفت الغاية لان الشاعر كان مدفوعاً نحو غاية نبيلة وهي الذود عن العروبة والإسلام بينما أصغى جبلّة لتكبره وعنجهيته فارتد عن الحق وركب الضلالة.

ب. نفاذ القضاء

منذ فجر الوعي البشري وإشكالية القضاء والقدر فإرضاء حضورها على الفكر البشري كونها ظاهرة تمس جوهر وجوده، وقد أعطى الإسلام حيزاً مهماً لهذه الإشكالية بعد ان عدل الموقف الإنساني تجاهها. عندما بين ان القضاء والقدر ليسا قوة غاشمة. الهدف منها هد السعادة الإنسانية وإنما هما اختبار وابتلاء لبيان مدى إيمان بني الإنسان وفق هذا المنظور كانت رؤية أبي فراس لهما. إذ يرى ان وقوعه في الأسر حدث بقضاء من الله ولم يكن بسبب عجزه وعجز أصحابه وافتقارهم إلى العدة والسلاح⁽²⁵⁾.

اسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امري فليس له بر يقيه ولا بحر

(25) م. ن: 103 – 104.

ان استبعاد الشاعر لكل الصفات السلبية عنه وعن أصحابه عبر تكثيف
الجميل المنفية التي تتوافق تركيبيا ودلاليا في البيت الأول ليس استجابة لدواعي
الفخر والمباهاة وإنما للتأكيد على نفاذ القضاء الإلهي الذي فتح الحديث عنه في
البيت الثاني عن طريق حرف الاستدراك (لكن) ليبدأ الكشف عن قوة القضاء
وتحكمه، هذه القوة التي لا تعجزها كل وسائل الدفع الإنساني فالإنسان واقع تحت
حكمها أنى التجأ.

وقد ساعد على تبلور رؤيته تماثل التركيب والدلالة إلى جانب الجناس
الناقص في الألفاظ (غمر، مهر، بر، بحر) لأنه (يقوي العلاقة بين الوحدات
المعجمية، ومن ثم فإن المطابقة الصوتية توحى بقرابة معنوية بين ما حصل وبين
التطابق)⁽²⁶⁾، ولتعزيز وجهة نظره نجده في نص آخر يستعين بأحداث التاريخ متخذ
منها أداة تؤكد على ان لا جدوى من الاستعداد الإنساني ان لم يصاحبه توفيق الهي
أية كانت الوسائل لأنها قد تتحول إلى مصادر للضرر والفناء بإرادة الله سبحانه قارنا
تجربته بتجارب مماثلة لشخصيات تاريخية بقوله⁽²⁷⁾:

جمعت سيوف الهند من كل بلدة وأعددت للهيجاء كل مجالد
إذا كان غير الله للمرء عـدة اتته المنايا من وجوه الفوائد

(26) في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية. محمد مفتاح. دار الثقافة، الدار البيضاء. المغرب، ط1:

1982: 63.

(27) الديوان: 11.

فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة وكان يراها عدة للشدائد⁽²⁸⁾

وجرت منايا مالك بن نويرة عقيلته الحسناء أيام خالد⁽²⁹⁾

لقد جمع الشاعر وسائل الدفاع كافة لمواجهة أعدائه: إنسانا (مجادل) وجمادا (سيوف الهند) ولكنه وقع في الأسر وهو لا يستغرب مما حصل له فذاكرة التاريخ تحوي كثيراً مما يماثل تجربته. فلقد لقي حذيفة بن بدر حتفه على يد أعدائه الذين استدلوا عليه عن طريق تتبعهم لأثر فرس أخيه (الحنفاء).

ومالك بن نويرة لقي حتفه بسبب جمال وجه زوجته - وفق منظور أبي فراس - إذ شاءت إرادة الله ان تحول المتعة الإنسانية الخالصة (الحسناء) إلى منفذ للهلاك وقد ساعد تكرار الفعل (جرت) على مطابقة تجربة السابق باللاحق "فالتكرار ذو وظيفة نفسية وتأثيرية هذا التأثير الذي يسعى الشاعر لتحقيقه في الملتقي هو الأداة التي من خلالها يمكن ان يتبلور موقفه وحالته التي يعيها"⁽³⁰⁾، فالتقنيات الفنية في النص الإبداعي ليست حلى تزيينية بل تتواشج مع المضمون

(28) هو حذيفة بن بدر الفزاري الذي قتل يوم الهباءة عندما استدل قيس بن زهير العبسي عليه من خلال معرفته لأفر فرس أخ حذيفة (الحنفاء)، ينظر: العقد الفريد... أبو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه. تحقيق: احمد أمين واحمد الزين وإبراهيم الاباري؛ مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1969: 5 / 156 - 157.

(29) هو مالك بن نويرة البربوعي قتل في حروب الردة وقد اختلفت الروايات في سبب قتله منها قالت: انه قتل لإرتداده عن الإسلام ومنها قالت: ان خالد بن الوليد قتله حباً لزوجته وقد تبني أبو فراس الرواية الأخيرة والله اعلم. ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام عهد الحلفاء الراشدين، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي. تحقيق عمر عبدالسلام تدميري - دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1987: 43 - 45.

(30) التكرار في الشعر الجاهلي، د. موسى ربابعة. مجلة مؤتة، عمان: مج 8، ع 2، 1997: 92.

في تجسيد حس التوتر داخل الذات المبدعة كما نرى في النص الذي بين أيدينا إذ عاضد الشكل المضمون في بلورة إيمان الشاعر بقضاء الله وفشل السعي البشري في كل مكان وزمان ان غاب عنه اللطف الإلهي.

ج. الموقف من الآخر

ان الطبيعة البشرية طبيعة ذات نزوع اجتماعي في جوهرها لان الذات لا تستطيع ان تكتسب هويتها دون حضور الآخر والتفاعل معه فالآخرون "هم أساس عناصر أصيلة تقتضيها فكرة الوجود البشري مثلما تقتضي وجود العالم فالوجود البشري هو أساسا وجود جماعي في طابعه فبدون الآخرين لا أستطيع ان أوجد"⁽³¹⁾ لذا فان الانا تسعى في اغلب الأحيان لتحقيق الانسجام مع الآخر والاتصال به من اجل ممارسة نشاطها كذات موجودة.

إلا ان تحقيق هذه الغاية يتعثر أحيانا لتعارض الرغبات بين أفراد الجماعة الواحدة. فالذات الأصيلة" تريد ان تحقق إمكاناتها في العالم الذي قذفت به، لان الاتجاه الأصلي فيها، هو تحقيق الإمكانيات قدر الوسع والطاقة، وهذا التحقيق يصطدم بالغير لأنه لا يجري داخل الذات وحدها"⁽³²⁾ وبسبب هذا التصادم تنحو العناية الإيجابية بالآخر منحى سلبيا وتبدأ الانا بالاغتراب والانفصال عن الجماعة.

(31) الوجودية، جون ماكوري، ترجمة إمام عبدالفتاح، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1982، 148.

(32) الزمان الوجودي، د. عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط2، 1955م: 158.

والمنتبع لعلاقة أبي فراس مع أبناء جلدته يجد انها شهدت تنافرا أثناء مدة أسره. فقد تولد لديه شعور بالنفور من الجماعة ولم يعد يرى فيهم سوى صور للتتكّر والغدر خاصة بعد ان تأخر سيف الدولة عن افتدائه⁽³³⁾، وظل هذا الشعور

في تفاقم جدا جعله يعد كل إنسان لا يضره خليلا حميما مقربا⁽³⁴⁾.

وصرنا نرى ان المتارك محسن وان صديقا لا يضر خليل

ان المعاناة المريرة التي مر بها الشاعر في أسره حملته على الانسحاب عن الجماعة التي أصبحت مصدر خطر يهدده يوحى بذلك الفعل (صرنا) الذي يعطي وفق السياق الذي جاء فيه دلالة التغير والتحول. لذا نجده قد عمم حالة الغدر والخيانة على البشرية جمعاء العالم منهم والجهول مستحضراً شخصيات تاريخية تجسدت فيها هذه السمة من خلال أفعال قامت بها⁽³⁵⁾:

اكل خليل هكذا غير منصف وكل زمان بالكرام بخيل

نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوة أجاب إليها عالم وجهول

وفارق عمرو بن الزبير شقيقه⁽³⁶⁾ وخلي أمير المؤمنين عقيل⁽³⁷⁾

(33) ينمية الدهر في محاسن أهل العصر: 89 / 1.

(34) الديوان: 145.

(35) م. ن: 146.

(36) هو عمرو بن الزبير بن العوام وقف ضد أخيه عبدالله في صراعه مع بني أمية وقد وقع أسيرا بيد مصعب

ابن الزبير فضرب حتى مات. ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر: 75 / 2 - 76.

ان إعطاء الشاعر صفة الغدر والخيانة بعدا شموليا نتج عن وطأة الأسر الثقيلة التي أفقدته الثقة بالآخرين فلم يعد يتذكر سوى صور الغدر والخيانة على مدى التاريخ وقد تجسدت هذه الرؤيا عبر حوار ه مع نفسه ومسائلته إياها، هل ان ما يمر به حالة استثنائية؟ أم ان الإنسان قد جبل على الغدر والنكران!.

لتقفز على سطح ذاكرته صور مماثلة لما يلقاه من تنكر وجفاء فيجيب على تساؤله بالإثبات السلبي (نعم) يؤكد صحة هذا الجواب وقوف عمرو بن الزبير ضد شقيقه عبدالله إلى جانب بني أمية وقوف عقيل بن أبي طالب إلى جانب معاوية ضد أخيه علي (رضي الله عنهم).

والملاحظ ان الشاعر قد قدم ذكر بن الزبير على عقيل (رضي الله عنهما) مع ان الأخير متقدم من الناحية التاريخية. ويبدو لنا ان سبب التقديم – إلى جانب وجوب الالتزام بالقافية – هو ان الشاعر يعد موقف عقيل (رضي الله عنه) أفضع مما اقدم عليه ابن الزبير فعقيل – حسب وجهة نظره – خرج على طاعة أمير المؤمنين خارقا السنن الدينية إلى جانب تجاوزه لأعراف القبيلة لتعاونه مع القريب على الأقرب يرجح ما ذهبنا إليه إسناد الفعل (خلى) إلى (عقيل) بينما اسند الفعل (فارق) إلى ابن الزبير لان (خلى) يمتلك قوة إيحائية أقوى من الفعل فارق فهو يشعر الملتقي بان القائم بفعل التخلي جفا من هو بأمس الحاجة إليه.

د . مواساة أمة

(37) فارق عقيل بن أبي طالب عليا (رضي الله عنهما) لدين لحق به ووفد الى معاوية (رضي الله عنه) ينظر:

الاصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني. طبعة جديدة

بالأوفست، مكتبة المتنبى بغداد، (د.ت): 2 / 449.

لقد ولد الشعور الحاد بالانفصال عن الجماعة في نفس الشاعر بأسا من الخلاص، واصبح فاقدًا أمل الانطلاق من الأسر ووسط هذه الأجواء الكئيبة والإحساس الفجائي يتذكر الشاعر أمه التي تتجرع مرارة الفراق واليأس من نجاته وهنا يقف وقفة الإنسان المؤمن فيخاطبها عن بعد " يا " خطابا لينا مليئا بالإشفاق يحثها فيه على الصبر بشكل لا نكاد نرى له مثيلا في بر الأبناء للأمهات. فلقد نسي مأساته التي يحيها لمأساة اشد تعيشها أمه، ونظرا لعجزه لا يملك سوى حثها على الصبر لأنه الوسيلة الأجدى أمام تقلبات الزمان المرعبة خاصة ان ما تلاقيه ليس بدعا في العالمين. فقد لاقت نساء مؤمنات ما يماثل ويفوق ما تلاقيه مقدما لها مثلا لنموذجين نسائيين صبرتا على المحن حتى ضرب المثل بصبرهما بقوله⁽³⁸⁾:

فيا امنا لا تعدمي الصبر انه إلى الخير والنجح القريب رسول
 أما لك في ذات النطاقين اسوة بمكة والحرب والعوان تجول
 أراد ابنها اخذ الأمان فلم تجب وتعلم علما انه لقتيل⁽³⁹⁾
 تأسى كفاك الله ما تحذرينه فقد غال هذا قبلك غول
 وكوني كما كانت باحد صفيّة ولم يشف منها بالبكاء غليل⁽⁴⁰⁾

(38) الديوان: 146.

(39) لما تخاذل أصحاب عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) في مكة دعاء الحجاج للاستسلام، فاستشار أمه (أسماء) فنهرتة عن ذلك وحثته على الصبر والجهاد حتى النهاية ينظر: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري. د. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط4، 1964: 188/6-189.

(40) لما بلغ صفيّة استشهاد شقيقها الحمزة (رضي الله عنهما) قالت:

لقد أحس الشاعر بما ينخر في صدر أمه من آلام ومخاوف فادرك ان الدعوة إلى الصبر بشكل مجرد لا يمكن ان تبعث العزاء في نفسها فلجا إلى التاريخ مستحضرا منه ذكر امرأتين صابرتين لهما مكانة دينية رفيعة مبتدأ بحديثه عن صبر ذات النطاقين (أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها) التي رفضت نزوع ابنها للاستسلام بعد ان صارت المنية قاب قوسين منه، ثم اردفها بالحديث عن صبر

صفية بنت عبدالمطلب (رضي الله عنها) التي شاهدت شقيقها (حمزة) مقتولا ممثلا به فما كان منها إلا الصبر والاحتساب.

ان استحضار أبي فراس لهذين المثالين وبصورة تصاعديّة لم يكن فعلا اعتباطيا وإنما أراد من أمه ان تحذو حذوهما فتصير صبر أسماء على معاناة ابنها في حياته وان تحتسب احتساب صفية على استشهاد شقيقها ولا سيما انه يرى ان المصائب رسدا للإنسان كما يوحي بذلك التعبير (غال هذا الناس) فاسم الإشارة (هذا) الذي يستخدم للإشارة على المفرد القريب اسنده الشاعر إلى الجميع، ولهذا الإسناد دلالة عميقة كشفت عن رؤية الشاعر الفجائية، فالناس على تعددهم واختلاف أزمتههم وأمكنتهم هم واحد في خضوعهم لمصيرهم المؤلم.

ولا يفوتنا ان نذكر ان الشاعر يكن احتراماً عظيماً لتلك الصحابيتين لذا فقد استخدم أسلوب التشبيه الذي يفيد المقاربة عادلاً عن أسلوب المطابقة في حثه لأمه

(لقد بلغني ان قد مثل باخي، وذلك في الله فما ارضانا بما كان من ذلك ألا لاحتسين ولا صيرن ان شاء الله) والسيرة النبوية: محمد بن هشام، تح: د. محمد أبو الفضل إبراهيم وإبراهيم الأباري، مصطفى عبد الحفيظ شلبي. دار إحياء التراث، بيروت، لبنان (د.ت) : 103 / 3.

على الصبر مما يوحي بان الشاعر يحس ان لا أحد من اللاحقين يبلغ في إيمانه
شأو تلكم المرأتين.

وبعد فان الاستحضار التاريخي في الروميات، لعب دورا كبيرا في إثراء
النص الشعري من خلال مزاجية أحداث ألامس بأحداث اليوم كما كشف عند الحس
القومي العميق عند الشاعر وانفعاله بأحداث تاريخه ومواقف شخصياته التي اتخذ
منها أداة لتفسير ما يمر به من مواقف ووسيلة لتجسيد رؤيته.

Abstract

The Historical Presence in Abu Firas Al-Hamadani's Roomiat

Dr. Yosrah Ismael Ibraheem^()*

This research aims at shedding light on the historical presence in Abu-Firas' Roomiat. He employed some historical events and characters. The research also treated some other aspects suchas the

(*) College of Arts, University of Mosul

poet and history, the poet between imitation and invention and the significance of historical presence in the Roomiat.

This research concluded that the poet depended on the Arabic historical events and characters without mentioning any role of the other nations.